معالمُ الأُخُوّة الإنْسَانيَة
من خلال مُحْكَمَاتِ القرآنِ الكريم
(دراسةٌ موضوعيةٌ)

The Characteristics of The Human Brotherhood Through

The Established Verses of The Holy Quran

(An Objective Study)

د. حمدان بن حميد بن بريك السلمي

hamdan bin humayd bin birik alsulmi

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

جامعة جدة

nab3ha@gmail.com

المقدمة

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه،ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبدالله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فلقد نزل هذا القرآن العظيم ليكون منهاج حياة، وواقع سلوك، وحقيقة تظهر على الجوارح، وفي النفوس، وبين الأفراد، وفي عموم حياة المجتمعات، وهو المعين الذي لا ينضب والسلسبيل الذي لا ينقضي، لا يزيد بكثرة الورود عليه إلا فيضاً بما يهدي للتي هي أقوم.

وفي ميدان تفسير كتاب الله تعالى، تبرز اليوم أهمية خاصة لجانب من الدراسات القرآنية الموضوعية، تلك التي تستخرج من ثنايا كتاب الله تعالى ما يحتاج إليه الناس اليوم في فكرهم وسلوكهم، وهم يعاركون هذه الحياة المعاصرة وما يكتنفها من تحديات ومتغيرات، وانسياق وراء الماديات والغرائز والملهيات - وهو ما طال كثيراً من المسلمين كما طال غيرهم، مما يؤكد أهمية توجيه الجهود العلمية إلى هدايات القرآن العظيم، فهو الحصن الحصين، وهو صمّام الأمان للفرد والمجتمعات إن هم أخذوا به.

ومن ذلك جانب الأخوة وهي الميثاق الذي يربط بين الأفراد، وهذا معنى عام فهي ربط بين الأقرباء وغيرهم بأي نوع من أنواع الصلة بينهم

وكذلك الإنسانية من المصطلحات الجامعة لكل المعاني والمشاعر والعواطف السامية التي تكرس الرحمة في قلوب البشر تجاه بعضهم، وتحثُّ الإنسان على الشعور والتعاطف مع أخيه الإنسان في أي بقعة من بقاع الأرض.

والقرآن الكريم أكد على مبدأ الأخوة بمعناها الشامل حيث الأخوة ليست فقط في النسب ولكن أخوة الدين، فيرتقي الإسلام بالروابط الإنسانية، فيكتسب الإخاء حقوقاً يستوثقها الأخ على أخيه الإنسان، والإسلام بذلك يضع تحديدًا واسعًا لمفهوم الأخوة أخذت عنه النظريات الحديثة تحت مسمى «العلاقات الإنسانية»، فالصورة التي رسمتها محكمات القرآن للأخوة صورة باهرة، تمثل أرفع وأكرم مثال للبشرية صورة متضامنة مترابطة متكافلة متوادة متعارفة.

يندرج البحث بشكل أساسي ضمن المحور الثاني من محاور المؤتمر ألا وهو قيم العدالة وعلاقة ذلك ببناء المجتمع السلمي والتعايش بين أفراده، حيث إن نشر مفاهيم القرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع الإخوة الإنسانية من العوامل المهمة والمؤثرة في بناء المجتمع والتعايش السلمي

بين أفراده، فهي تلغي فوارق اللون والعرق واللغة فيما بين أفراد المجتمع وتسهم إسهاما مباشرا في تعزيز قيم العدالة ونشر الإسلام والسلام.

كما يتعلق موضوع البحث كذلك بالمحور الأول من محاور المؤتمر وهو قيم الأخلاق وبناء الحضارة الإنسانية، فلا قوام للحضارة الإنسانية إلا بنشر مفاهيم الإخوة الإنسانية لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

وتنبع أهمية البحث في كونه يبرز معالم الإخوة الإنسانية كما بينتها محكمات القرآن الكريم، في ظل غياب كثير من المفاهيم الصحيحة للأخوة الإنسانية في واقعنا المعاصر وتداخل المصطلحات الشرعية مع غيرها.

كما جاء هذا البحث ليبين للجميع مسلمين وغيرهم كيف كان الإسلام الراعي الأول لبناء الأخلاق والقيم قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» صحيح الجامع (٢٣٤٩).

إضافة لكونه تعزيز لمفاهيم الإخوة يُظهر جماليات الإسلام ويشكل مدخلاً مهماً لدعوة غير المسلمين وتأليف قلوبهم خصوصاً في بلاد الغرب.

فهذا البحث يسلط الضوء على معالم الأخوة الإنسانية من خلال محكمات القرآن الكريم.

أسأل الله تعالى أن يشرّفنا بخدمة كتابه الكريم، وأن يمنّ علينا بالإخلاص والسداد، وبالعلم النافع والعمل الصالح.

* * *

خطة البحث

سوف يحوي البحث بعون الله تعالى على مقدمة وثلاثة مباحث وفيها مطالب وخاتمة وفهارس، كالتالي:

المبحث الأول :مفهوم الأخوة والأخوة الإنسانية وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الأخوة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم الإنسانية والأخوة الإنسانية.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالأخوة.

المبحث الثاني : معالم الأخوة الإنسانية في محكمات القرآن وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: التعريف بمحكمات القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأخوة الإنسانية في محكمات القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أنواع الأخوة في محكمات القرآن الكريم.

المطلب الرابع : أحكام وعلاقات مرتبة على الأخوة.

المبحث الثالث :مقاصد الأخوة ودورها في بناء الحضارة الإنسانية

الخاتمة : وتتضمن خلاصة البحث وأبرز نتائجه الكلية والتوصيات.

* * *

المبحث الأول

مفهوم الأخوة والأخوة الإنسانية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأخوة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم الإنسانية والأخوة الإنسانية.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالأخوة.

المطلب الأول: الأخوة لغةً واصطلاحاً.

أولاً: المعنى اللغوي.

الأخ: أصله أخو بالتحريك؛ لأنه جمع على آخاء مثل آباء، والذاهب منه واو؛ لأنك تقول في التثنية أخوان، وقد يتسع فيه فيراد به الاثنان؛ كقوله تعالى: (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ) [النساء:١١]، وهذا كقولك: إنا فعلنا، ونحن فعلنا، وأنتما اثنان، وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء، والإخوة في الولادة[١].

والأخ -في الحقيقة- هو: كل من جمعك وإياه صلب أو بطن، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في الصنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات، والأخت كالأخ، وقيل: الإخوة جمع الأخ من النسب، والإخوان جمع أخ من الصداقة[٢].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي.

تقدم معنا أن الأخ هو كل من جمعك وإياه صلب أو بطن ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في الصنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات والأخت كالأخ.

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري ١٤١/٨.

(٢) الكليات، الكفوي ص ٦٣.

والذي يهمنا هو تعريف الأخوة بمعناه العام وهي أخوة النسب، وفي القرآن الكريم بمعنى خاص وهي الأخوة الإسلامية.

فالأخوة عموماً دون تخصيص: هي: مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات(١).

والأخوة هي الميثاق الذي يربط بين الأفراد، وهذا معنى عام فهي ربط بين الأقرباء وغيرهم بأي نوع من أنواع الصلة بينهم.

المطلب الثاني: مفهوم الإنسانية والأخوة الإنسانية.

أولاً: المعنى اللغوي.

تدور مادة (أ ن س) في اللغة حول معنيين رئيسين هما: الظهور والنسيان.

الأول: الظهور: قال ابن فارسٍ: «الهمزة والنون والسين أصلٌ واحدٌ، وهو ظهور الشيء، وكل شيءٍ خالف طريقة التوحش. قالوا: الإنس خلاف الجن، وسموا لظهورهم. يقال: آنست الشيء، إذا رأيته، قال الله تعالى: (فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً) [النساء: ٦]. والأنس: أنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه»(٢).

فالإنسان: من الإنس خلاف الجن، أو من الأنس خلاف النفور، والإنسي منسوبٌ إلى الإنس، يقال ذلك لمن كثر أنسه، ولكل ما يؤنس به(٣).

الثاني: النسيان: أورد ابن منظور في لسان العرب عن ابن عباسٍ- رضي الله عنهما- أنه قال: «إنما سمي الإنسان إنساناً؛ لأنه عهد إليه فنسي»(٤).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي.

ذكر أبو البقاء الكفوي أن بعض الناس جعل الإنسان هو: المعنى القائم بالبدن، ولا مدخل للبدن في مسماه، وهو قول الأحناف والغزالي، وجعله آخرون الهيكل المحسوس، وهو قول

(١) نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين ٢/٩٢.
(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس ١/١٤٥.
(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٢٨.
(٤) لسان العرب، ابن منظور ١/١٤٧.

جمهور المتكلمين[١].

وقد أورد الأشعري في (مقالات الإسلاميين) تسعة عشر قولاً في تعريف الإنسان، أرجحها القول الثالث، وذلك أن ماهية الإنسان وحقيقته لا تكون من دون جسدٍ وروحٍ، فالإنسان مجموع الروح والجسد، ولذا يسميه بعضهم حيٌّ ناطقٌ أو حيوانٌ ناطقٌ، كما عرفه الجرجاني بقوله: الإنسان هو الحيوان الناطق.

الإنسانية: الإنسانية في الإسلام قائمة على أنه دين عالمي وليس لقوم بعينهم، وأن ميزان التفاضل فيه قائم على العمل الإنسان الصالح والتقوى بعيدًا عن فخر ومجد الأنساب[٢].

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالأخوة.

أولاً : الخلة:

الخلة لغة: (الخليل) الصديق والجمع (أخلاءٌ)[٣]. وهي أخص من الأخوة[٤].

الخلة اصطلاحاً: أخوة خاصة لأخ معين من بين سائر الإخوان لشدة الموافقة بينه وبين أخيه، وهي أعلى مراتب المحبة[٥].

الصلة بين الأخوة والخلة: الخلة مرتبة فوق مرتبة الأخوة وغيرها، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء:١٢٥]، والخليل: المخال، وهو الذي يخالك، أي: يوافقك في خلالك، أو يسايرك في طريقك، أو يسد خللك كما تسد خلله، أو يداخلك خلال منازلك وحجبك[٦]، فلشدة قرابته من أخيه والتصاقه به وموافقته ومسايرته ومداخلته؛ صار خليلاً له.

فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة: عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة، وتعرفه من قوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام... الحديث»[٧]؛ إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرًا وباطنًا[٨].

---

(١) الكليات، الكفوي ص١٩٨-١٩٩.
(٢) أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة، أحمد عطار، ١٤٥/١.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي المقري ٩٦/١.
(٤) فتح الباري، العسقلاني ١٥٤/١٠.
(٥) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٣٢/٣.
(٦) الكشاف، الزمخشري ٣٠١/١.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، رقم ٤٦٦، ١٦٢/١.
(٨) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ص ٦٥١.

ثانياً : الصداقة.

الصداقة لغةً : صدق الاعتقاد في المودة، وذلك مختص بالإنسان، وقوله: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء:١٠١]، إشارة إلى قوله: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧][١].

الصداقة اصطلاحاً: قوة المودة مأخوذة من الشيء الصدق وهو الصلب القوي، وقال أبو علي رحمه الله: الصداقة اتفاق القلوب على المودة، ولهذا لا يقال: إن الله صديق المؤمن كما يقال إنه حبيبه وخليله[٢].

الصلة بين الأخوة والصداقة: قال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة[٣]، ورفع الشارع الحرج في الأكل من بيت الصديق؛ لأنه أرضى بالتبسط وأسر به من كثير من ذوي القرابة[٤].

* * *

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ١/٤٨٠.
(٢) الفروق اللغوية، العسكري ١/١٢١.
(٣) روائع البيان، الصابوني ٢/٢١٧.
(٤) روح المعاني، الألوسي ١٧/٥٥٧.

المبحث الثاني

معالم الأخوة الإنسانية في محكمات القرآن

- **وفيه أربعة مطالب:**
- المطلب الأول: التعريف بمحكمات القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: الأخوة الإنسانية في محكمات القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: أنواع الأخوة في محكمات القرآن الكريم.
- المطلب الرابع : أحكام وعلاقات مرتبة على الأخوة.

معالم الأخوة الإنسانية في محكمات القرآن:

يقول الإمام الشاطبي: الْكِتَابَ هو كُلِّيَّةُ الشَّرِيعَةِ، وَعُمْدَةُ الْمِلَّةِ، وَيَنْبُوعُ الْحِكْمَةِ، وَآيَةُ الرِّسَالَةِ، وَنُورُ الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ، وَأَنَّهُ لَا طَرِيقَ إِلَى اللَّهِ سِوَاهُ، وَلَا نَجَاةَ بِغَيْرِهِ، وَلَا تَمَسُّكَ بِشَيْءٍ يُخَالِفُهُ، وإن كان كذلك لزم ضرورةً لمَنْ رَامَ الِاطِّلَاعَ عَلَى كُلِّيَّاتِ الشَّرِيعَةِ وَطَمِعَ فِي إِدْرَاكِ مَقَاصِدِهَا، وَاللِّحَاقِ بِأَهْلِهَا، أَنْ يَتَّخِذَهُ سَمِيرَهُ وَأَنِيسَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ جَلِيسَهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي؛ نَظَرًا وَعَمَلًا، لَا اقْتِصَارًا عَلَى أَحَدِهِمَا؛ فَيُوشِكُ أَنْ يَفُوزَ بِالْبُغْيَةِ، وأَنْ يَظْفَرَ بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ(١).

تمثّل محكمات القرآن الكريم المدخل السليم للتعريف بالدين الإسلامي تعريفاً صحيحاً لا يشوبه التشويه، وبيانه بياناً سليماً لا يعتريه الخلل، وتوضيحه توضيحا كاملاً لا يرد عليه النقص أو الزلل.

المطلب الأول: التعريف بمحكمات القرآن الكريم.

المحكم: معناه المتقن، يقال أحكمت الشيء، أحكمه إحكاماً، فهو محكم، إذا أتقنته، فكان في غاية ما ينبغي من الحكمة، ومنه: بناء محكم: أي ثابت يبعد انهدامه، وذلك كالنصوص

(١) الموافقات، ٤/٤١٤.

والظواهر، لأنه من البيان في غاية الإحكام والإتقان[١].

ولذلك وصف الله -تعالى- كتابه بذلك، فقال جل شأنه: {الر، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} مطلع سورة هود.

آية محكمة أو آيات محكمات أو محكمات هي الآيات القرآنية المحكمة التي لا تحمل إلا تفسيراً واحداً لها، والمحكم في القرآن الكريم يصح فيه قولان الأول[٢]:

الأول: أن المحكم ما ظهر معناه وانكشف كشفا يزيل الإشكال ويرفع الاحتمال وهو موجود في كلام الله تعالى ويقابله المتشابه وهو ما تعارض فيه الاحتمال إما بجهة التساوي كالألفاظ المجملة.

الثاني: إن المحكم ما انتظم وترتب على وجه يفيد إما من غير تأويل أو مع التأويل من غير تناقض واختلاف فيه وهو متحقق في كلام الله تعالى ويقابله ما فسد نظمه واختل لفظه ويقال فاسد لا متشابه وهذا غير متصور الوجود في كلام الله تعالى، وقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة».

وقال القاضي: المحكم: المفسر، والمتشابه: المجمل؛ لأن الله -سبحانه- سمى «المحكمات» «أم الكتاب» وأم الشيء: الأصل الذي لم يتقدمه غيره، فيجب أن يكون المحكم غير محتاج إلى غيره، بل هو أصل بنفسه وليس إلا ما ذكرنا.

إذن فالآيات المحكمات هن أم الكتاب وهن الآيات القطعية الدلالة والتي لا تحتمل الاجتهاد فيها، وهي الآيات المتعلقة بأصول العقائد والمتعلقة بأصول الأحكام وأصول الدين، وهي أيضا الآيات المتعلقة بالحلال والحرام وبالأمر والنهي وعليه لا يختلف عالمان في آية محكمة ولا يختلف مجتهدان في آية محكمة لكن الآيات الظنية الدلالة إذا اجتهد فيها المجتهدون واختلفوا فاختلافهم اختلاف رحمة واختلاف تنوع وغنى وليس اختلاف تضاد وتناقض[٣].

(١) «المصباح المنير ١/ ١٤٥، شرح الكتاب المنير ٢/ ١٤٠-١٤١»
(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي ١/١٦٥.
(٣) انظر: المحكم والمتشابه للنابلسي ١/١٨.

المطلب الثاني: الأخوة الإنسانية في محكمات القرآن الكريم.

تكررت كلمة الأخوة واشتقاقاتها في القرآن الكريم ست وتسعين مرة، في ثلاث سور من سوره الشريفة، لكنّها تحمل معاني أحكام وعلاقات مترتبة على الأخوة الإنسانية.

الصيغة	عدد المرات	المثال
المفرد	٦٠	﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾
المثنى	٢	{وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ}
الجمع	٣٤	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

وجاءت الأخوة في القرآن على ستة أوجه[1]:

أحدها: الأخ من الأب والأم أو من أحدهما: ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ [النساء:١١]. يعني: الأخ من النسب.

الثاني: أخوة القبيلة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥]. يعني: منهم.

الثالث: الأخوة في الدين: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]. يعني: في الدين.

الرابع: الأخوة في المودة والمحبة: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]. يعني: جمعتهم المودة والمحبة.

الخامس: الصاحب: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ [ص:٢٣]. يعني: صاحبي.

(١) الأخوة الإنسانية رؤية قرآنية١/١٠.

السادس: الشبه: ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨]. يعني: شبهها.

المطلب الثالث: أنواع الأخوة في محكمات القرآن الكريم.

أولاً: الأخوة في العقيدة.

الأخوة في العقيدة هي أعظم الأخوات، ويمكن أن نجعلها في قسمين رئيسين:

١- الأخوة بين أهل العقيدة الإسلامية الصحيحة.

والعقيدة التي نريدها: الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين.

وقد أطلق كثير من السلف على العقيدة الصحيحة اسم «السنة»، وذلك لتمييزها عن عقائد ومقولات الفرق الضالة؛ لأن العقيدة الصحيحة وهي عقيدة أهل السنة والجماعة مستمدة من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، التي هي مبينة للقرآن(١).

وقد وردت في ذلك آيات تحمل في مضمونها الأمر المباشر أو الحث أو مدح هذه الأخوة.

بيان حقيقة الأخوة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

ومن أفضل ما قال المفسرون: وهذه الصورة النظيفة الرضية الواعية، وهي تبرز أهم ملامح التابعين، كما تبرز أخص خصائص الأمة المسلمة على الإطلاق في جميع الأوطان والأزمان.

هؤلاء الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار- ولم يكونوا قد جاءوا بعد عند نزول الآية في المدينة، إنما كانوا قد جاءوا في علم الله وفي الحقيقة القائمة في هذا العلم المطلق من حدود الزمان والمكان- سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة، لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان وفي طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق، ممن يربطهم معهم رباط الإيمان، مع الشعور برأفة الله ورحمته، ودعائه بهذه الرحمة، وتلك الرأفة، وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود، تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله الجبرين ص١٠.

وتكافل وتواد وتعاطف، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة، كما يذكر أخاه الحي، أو أشد، في إعزاز وكرامة وحب، ويحسب السلف حساب الخلف، ويمضي الخلف على آثار السلف، صفاً واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان، تحت راية الله تغذ السير صعداً إلى الأفق الكريم، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم.

وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضاً.

ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم: ﴿سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] دليل على المشاركة في الإيمان، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين؛ لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضًا، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن ينصح له حاضرًا وغائبًا، حيًا وميتًا، ودلت الآية الكريمة على أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ثم ختموا دعاءهم باسمين كريمين، دالين على كمال رحمة الله وشدة رأفته وإحسانه بهم، الذي من جملته، بل من أجله، توفيقهم للقيام بحقوق الله وحقوق عباده(١).

كلهم يترحمون على السلف من المؤمنين الذين سبقوهم، ويسلكون طريق الشفقة على جميع المسلمين، ويستغفرون لهم، ويستجيرون من الله أن يجعل لأحد من المسلمين في قلوبهم غلًا، أي: حقدًا، ومن لا شفقة له على جميع المسلمين فليس له نصيب من الدين(٢)، فهي عامة في جميع التابعين والآتين بعدهم- المهاجرين والأنصار- إلى يوم الدين(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٠٠٤.
(٢) لطائف الإشارات، القشيري ٥٦٢/٣.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٢/٩.

وهي أخوة تتوارثها الأجيال من السلف للخلف، بل تدوم إخوتهم إلى مماتهم حتى يجمعهم الله عليها مرة أخرى في دار كرامته أبد الآبدين، كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧] وهذا من أعظم كمال اللذات حيث يكون الإنسان خالدًا مخلدًا، وحيث يكون هو وإخوانه ورفقاؤه في ذلك النعيم ليس بين اثنين منهم شحناء، ولا عداوة، ولا حقد، ولا حسد، ولا مخاصمة، وكل هذا من كمال النعيم(١).

لمن تبذل الأخوة ؟

الأصل أنها تبذل لكل من قام بالعقيدة الصحيحة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠] أي: الجميع إخوة في الدين(٢)، أو تاب مما كان عليه من اعتقاد باطل وعاد للإسلام الحق، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:١١]، قول: إن تركوا اللات والعزى، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، قال ابن زيد: افترضت الصلاة والزكاة جميعًا لم يفرق بينهما وقرأ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:١١]، «فإن تابوا»: مما هم عليه من الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين أي: فهم إخوانكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم، فعاملوهم معاملة الإخوان، وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه(٣).

ويدل على أن من أظهر لنا الإيمان وأقام الصلاة وآتى الزكاة فعلينا موالاته في الدين على ظاهر أمره مع وجود أن يكون اعتقاده في المغيب خلافه(٤).

٢. أخوة المنافقين وأهل العقائد الفاسدة.

والأصل فيهم أنهم قد اجتالتهم الشياطين، ولعبت بهم يمنة ويسرة هم ومن كان على شاكلتهم، أو تعاون معهم في غيهم، وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غياً إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله، ولا يحجزهم تقوى الله، ولا خوف المعاد إليه عن التمادي فيها والزيادة منها، فهم أبداً في زيادة من ركوب الإثم، والشيطان يزيدهم أبداً، لا يقصر الإنسي عن شيء من ركوب

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٧٥٥/٤
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٢٨/٦.
(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٣٧٠/٥.
(٤) أحكام القرآن، الجصاص ٢٧٤/٤.

الفواحش، ولا الشيطان من مدهم منه[١].

وقد جاءت الآيات التي تحدثت عن أخوتهم السيئة؛ للتحذير منها والتنفير عنها، ذكر أخوتهم على سبيل الذم: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [آل عمران:١٥٦].

وظاهر من مناسبة هذه الآيات في سياق المعركة، أن هذه كانت أقوال المنافقين الذين رجعوا قبل المعركة، والمشركين من أهل المدينة الذين لم يدخلوا في الإسلام ولكن ما تزال بين المسلمين وبينهم علاقات وقرابات، فينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد، الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب، لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم.

بيان زيف أخوتهم، وأنه اجتماع وقت للإضرار بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر:١١]. يعني بني النضير، وأخوتهم معهم أخوة دين واعتقاد، أو أخوة صداقة وموالاة؛ لأنهم كانوا معهم سرًا على المؤمنين[٢].

فقولهم هذا: لإخوانهم الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر، ولأنهم كانوا يوالونهم ويواخونهم، وكانوا معهم على المؤمنين في السر[٣]، فأثبت الله أن لهم أخوة؛ لكنها ليست على مرضات الله وليست كما وجه إليها رسوله ﷺ؛ بل هي مغايرة لذلك تمامًا.

فهذه الأخوة قامت على الكفر بالله، ومعصية رسوله ﷺ، والإضرار بعباد الله المؤمنين، فلسيت بأخوة على الحقيقة بل لها اشتراك لفظي كما يقال، ولقد ذكرت بصورتها البشعة؛ ليجتنبها عباد الله المؤمنين في أخوتهم، فأخوتهم قائم على أمر الله ورسوله.

---

(١) جامع البيان، الطبري ١٥٧/٦.
(٢) محاسن التأويل، القاسمي ٨٢/٩.
(٣) الكشاف، الزمخشري ٤/ ٨٢.

ثانياً: الأخوة في النسب.

أصل الأخوة النسب كما سبق، وأخوة النسب إما لأشقاء أو غير أشقاء، ومن الآيات التي وردت في ذلك: ذكر العلاقة بين الإخوة في النسب عمومًا: قال تعالى-حاكيًا عن أهوال يوم القيامة-: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس:٣٤]، وبدأ بالأخ، ثم بالأبوين؛ لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين؛ لأنهم أقرب وأحب[١]، فالأخ ليس أحب إلى أخيه من والديه؛ إنما الاعتماد عليه في المهمات أكثر منهما[٢].

وهذا الترتيب في الأهل يتناسب مع سياق الآيات، ففي سورة عبس المشهد هو مشهد الفرار يخلو المرء بنفسه ويفر المرء أولًا من الأبعد إلى الأقرب إلى قلبه، يفر أولًا من أخيه ثم من أمه وأبيه ثم من صاحبته وبنيه الذين هم أقرب الناس إلى قلبه، أما في سورة المعارج فالمقام مقام عذاب وليس فرار؛ فيرى المرء مشهد عذاب فوق ما تصوره ولا يقبل المساومة فيبدأ يفدي نفسه بالأقرب إلى قلبه ثم الأبعد؛ لذا بدأ ببنيه أعز ما عنده ثم صاحبته وأخيه ثم فصيلته ثم من في الأرض جميعًا[٣].

تجريم الضرر بالأخ من النسب أو غيره:

فحرم الله القتل بين المؤمنين وشنعه بقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة:٣٢].

كان قصة ذلك قتل أحد ابني آدم لأخيه، وتحيره في مواراته: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٣١]، والأصل أنه لا يجوز الإتيان بشيء يضر بحقوق الأخ القريب أو البعيد، وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند[٤].

(١) المصدر السابق ٤/١٨٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/١٩٩٣.
(٣) لمسات بيانية، السامرائي ١/٦٩٢.
(٤) الحيوان، الجاحظ ٣/٤٩٦.

ثالثاً: الأخوة من الرضاعة.

كما أن الأخوة من النسب، فهي كذلك من الرضاع ولها الحكم ذاته، والذي ذكره الله عز وجل بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء:٢٣].

فقوله: (وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ) وهي الأخت لأب وأم، التي أرضعتها أمك بلبان أبيك؛ سواء أرضعتها معك أو ولدت قبلك أو بعدك، والأخت من الأب دون الأم، التي أرضعتها زوجة أبيك، والأخت من الأم دون الأب، التي أرضعتها أمك بلبان رجل آخر... وهما محرمتان بالقرآن، ولم يذكر من المحرم بالرضاعة في القرآن سواهما، والأم أصل والأخت فرع؛ فنبه بذلك على جميع الأصول والفروع[١].

رابعاً: الأخوة في الأوطان والعشيرة.

جاء ذكر الأخوة في القرآن الكريم بمعنى أخوة الأوطان والديار، وهي من حقوق الجوار كذلك التي نبه عليها الإسلام، وجعلها حقًا من حقوق الأخوة.

فهم إخوة قوم أو عشيرة ديارهم واحدة ومساكنهم متقاربة، ومنه قول قريط[٢]:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

ويمكن تقسيمها كالتالي:

١. **أخوة الأوطان:** وفي القرآن الكريم وردت بهذا المعنى آيات قليلة وإن كانت في حق الأنبياء، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٦١]، وجعل لوط أخًا لقومه ولم يكن من نسبهم وإنما كان نزيلًا فيهم، إذ كان قوم لوط من أهل فلسطين من الكنعانيين، وكان لوط عبرانيًا وهو ابن أخي إبراهيم ولكنه لما استوطن بلادهم وعاش فيهم وحالفهم وظاهرهم جعل أخًا لهم[٣]، ولذا قال الله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴾ [ق:١٢-١٣].

ومن ذلك ما ذكره الله عن هود عليه السلام: فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥]، أخاهم بمعنى: واحدًا منهم كما يقولون:

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧٤/٣.
(٢) العقد الفريد، ابن عبدربه ١٨/٣.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧٨/١٩.

(يا أخا العرب) وإنما أرسل منهم؛ لأنهم أفهم لقوله من قول غيره، وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وشرف أصله، وأرغب في اقتفائه[١]، وكذلك قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤]، أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا، قال ابن عباس: أي: ابن أبيهم،- وتقدم أنه ليس كذلك- وقيل: أخاهم في القبيلة، وقيل: أي: بشرًا من بني أبيهم آدم، وفي مصنف أبي داود أن أخاهم هودًا صاحبهم[٢].

وسماه أخًا تنبيهًا على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣].

فأخوة الأوطان تحمل الأخ على العيش مع إخوانه في ديارهم، وتقديم الخير لهم، ورفع الضر عنهم، والتعاون معهم، ودفع الصائل عنهم، فله ما لهم وعليه ما عليهم، وهذا ما نبه عليه الإسلام في اهتمامه الأعظم بحقوق الجار خاصة إن كانوا مسلمين أقرباء.

٢. أخوة العشيرة:

وأخوة العشيرة٥٨ هي أخوة نسب لكنها ليست الأخوة المعتادة، فتكون بين الأشقاء أو غير الأشقاء أو بين الرضعاء، أو أبناءهم مجتمعين في عشيرة واحدة. والعشيرة تنقسم فيها فخوذ الناس على مراتب النسب، وتكون نسبتها لأب مشهور من نسل والد قديم أشهر منه، وتطلق على قوم تعاشروا في ظروف معينة وكانت بينهم أمور تجمعهم.

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين، أي: الأدنين إليه٥٩، فلما دعاهم دعا عشيرته الذي ينتمي وإياهم إلى جد واحد، فخص الأقربين؛ لأن الاهتمام بشأنهم أولى، وهدايتهم إلى الحق أقوم[٣].

المطلب الرابع : أحكام وعلاقات مرتبة على الأخوة.

أولاً: الميراث.

من أعظم ما جاء به الإسلام قضية الميراث، بل وصل من حب الأخوة المؤمنين في بداية الإسلام أن يرث الأخ في الله أخاه، خاصة الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ثم نسخ ذلك.

---

(١) الكشاف، الزمخشري ٦٨/٢، محاسن التأويل، القاسمي ١١٤/٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٣٦/٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٣٦٣/٣.

ولا ميراث للإخوة والأخوات مطلقاً مع الابن أو ابن الابن أو الأب وفي ميراثهم مع الجد خلاف، ويورثون مع البنات إلا الإخوة لأم ويسقط الأخ لأب مع الأخ لأبوين(١).

وفي بيان ذلك يقول الله: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢].

ثانياً: حرمة النكاح.

حرم القرآن الكريم نكاحاً وأحل آخر -ولا يحل إلا طيباً- لترتيب التعايش بين المؤمنين، وأهم ما حرم نكاحه بين الأخوة ما ذكره الله عز وجل بقوله﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:٢٣]

ثالثاً: الإصلاح بين الإخوان.

وأول الإصلاح ما هيأه الله سبحانه من إصلاح حال عباده المؤمنين بفضله وبرحمته، فإنه قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]، يعني: فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالإسلام وكلمة الحق، والتعاون على نصرة أهل الإيمان، والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر، إخوانًا متصادقين، لا ضغائن بينكم ولا تحاسد(٢).

فهي أخوة إذن تنبثق من التقوى والإسلام -من الركيزة الأولى- أساسها الاعتصام بحبل الله -أي: عهده ونهجه ودينه- وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر، ولا على أي هدف آخر،

(١) انظر: الدراري المضيئة، الشوكاني ٤٢٩/٢.
(٢) جامع البيان، الطبري ٨٤/٧.

ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة!.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له، وعليه وتعدت ما جعل الله عدلًا بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما، فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله، يقول: حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه، فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلًا بين خلقه[1].

تنبيهات:

الأول: الاقتتال لا يكون إلا للميل إلى الدنيا، والركون إلى الهوى، والانجذاب إلى الجهة السفلية، والتوجه إلى المطالب الجزئية، والإصلاح إنما يكون من لزوم العدالة في النفس التي هي ظل المحبة، التي هي ظل الوحدة، فلذلك أمر المؤمنون الموحدون بالإصلاح بينهما، على تقدير بغيهما، والقتال مع الباغية على تقدير بغي إحداهما، حتى ترجع؛ لكون الباغية مضادة للحق، دافعة له.

الثاني: في الآية وجوب الصلح بين أهل العدل والبغي، وقتال البغاة وهو شامل لأهل مكة كغيرهم، وأن من رجع منهم وأدبر لا يقاتل، لقوله حتى تفيء.

الثالث: في الآية فوائد: منها أنهم لم يخرجوا بالبغي عن الإيمان، وأنه أوجب قتالهم، وأنه أسقط عنهم التبعة فيما أتلفوه في قتالهم، وإجازة كل من منع حقًا عليه، ووجوب معاونة من بغي عليه، وعلى وجوب تقديم النصح، لقوله: فأصلحوا بينهما، وعلى السعي في المصالحة، وذلك ظاهر.

الرابع: وجه الجمع في اقتتلوا، مع أنه قد يقال: مقتضى الظاهر (اقتتلتا) هو الحمل على المعنى دون اللفظ؛ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس، والنكتة في اعتبار المعنى أولًا، واللفظ

(١) المصدر السابق ١١/٣٨٦.

ثانيًا عكس المشهور في الاستعمال، ما قيل: إنهم أولًا في حال القتال مختلطون مجتمعون، فلذا جمع أولًا ضميرهم، وفي حال الإصلاح متميزون متفارقون، فلذا ثنى الضمير ثانيًا وسر قرن الإصلاح الثاني بالعدل، دون الأول؛ لأن الثاني لوقوعه بعد المقاتلة مظنة للتحامل عليهم بالإساءة، أو لإبهام أنهم لما أحوجوهم للقتال استحقوا الحيف عليهم(١)، وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين(٢).

ولو اختصم الإخوة ولم يعلم بهم أحد ولم يصلوا إلى نتيجة، فينبغي عليهم البحث عن المصلحين وإشهار القضية فيهم ليتمكنوا من الإصلاح فيها، وهذا كما ذكره الله -عن المختصمين الذين جاءا داود عليه السلام ليصلح بينهم- بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣].

فنص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضائها عدم البغي، وأن بغيه الصادر منه أعظم من غيره(٣).

والمراد أخوة الدين، أو أخوة الصداقة والألفة، أو أخوة الشركة والخلطة، لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤]، كل واحدة من هذه الأخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم(٤).

خامساً: الولاء والنصرة : مما لا شك فيه أن الأخوة أصل الولاء، وقد بيَن الله الولاء الحقيقي ولمن يكون فقال عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]، فلا تجد يا محمد قومًا يصدقون الله، ويقرون باليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وشاقهما وخالف أمر الله ونهيه، ولو كان الذين حادوا الله ورسوله آباءهم(٥)

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٤٢٨/٨.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٩/ ٢٤٣.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٣٦.
(٤) الكشاف، الزمخشري ٣٢٣/٣.
(٥) جامع البيان، الطبري ٢٥٧/١٠.

المبحث الثالث

مقاصد الأخوة ودورها في بناء الحضارة الإنسانية

أولاً : عمارة الأرض.

تمثل عمارة الأرض مقصدا عظيما يرتبط بأصل خلق الإنسان ووجوده في هذه الحياة، وقد تتابعت آيات القرآن الكريم على تقرير هذا المقصد وتأكيده وإثباته بأساليب مختلفة وصيغ قرآنية متنوعة، منها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، وهذه الآيات الكريمة، وغيرها كثير، ظاهرة في دلالتها على الدعوة إلى عمارة الأرض وإصلاحها ومنع تخريبها وإفسادها، وصريحة في الحض على فعل الخير فيها، وفي التأكيد على أن من مهام الإنسان الأولى التي خلق من أجلها، تعمير الأرض بشتى صنوف الخير والبر.

وقد أومأت محكمات القرآن الكريم إلى أن عمارة الأرض لا تتحقق إلا بقدر من التعايش والتساكن والألفة بين الناس، وهذا ما نجده في دعاء نبي الله ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [ابراهيم: ٣٧].

ففي دعائه عليه السلام بهوي الأفئدة إلى حيث يسكن زوجه وابنه: إشارة إلى طلب الألفة والحضور الإنساني للمساعدة في تكوين المجتمع الناشئ، والتعاون في تعمير المدينة الجديدة، لتكون عاصمة التوحيد في العالم.

فالأخوة الإنسانية تسهم إسهاما جليا في عمارة الإنسان للأرض امتثالا لأمر الله تعالى في الآيات السابقة.

وعمارة الأرض مقصد من أصل الخلق والتكوين، ومقصد من أصل الأمر والتشريع، فهي من مقاصد الخلق لأنها من مقاصد خلقه سبحانه للناس وإيجاده لهم في هذه الحياة، وهي من

مقاصد الشرع لأن الله تعالى أراد من كتابه المنزل عمارة الأرض وتشييدها وإصلاحها وتنميتها وذلك عن طريق صلاح الإنسان المستخلف فيها والمكلف بإصلاحها، وهذا ما عبر عنه الشيخ علال الفاسي بقوله: «المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع»[١].

ثانياً : الاستخلاف في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] وغيرها من الآيات، وذلك هو الاقتداء بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة[٢].

ثالثاً : عبادة الله تعالى.

فأصل ازدهار الحضارات أن يتوجه العباد لخالقهم سبحانه، ولما كانت الأخوة الإنسانية مدخلا مهما في دعوة الناس لعبادة الله تعالى، كانت سببا مهما في بناء الحضارة الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وذلك هو الامتثال للباري عز وجل في أوامره ونواهيه.

رابعاً : القيم الأخلاقية.

يعدّ الإصلاح الأخلاقي واحدا من أبرز قضايا محكمات القرآن الكريم وأهدافه وغاياته، حيث بين الله تعالى في كتابه الكريم أن تزكية الأمة وتحليتها بالفضائل والقيم من أعظم مقاصد بعثة النبي الكريم ﷺ وأهداف رسالته، وهذا ظاهر في كثير من آي الكتاب الكريم كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

---

(١) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، ص٤١-٤٢.

(٢) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، محمد دراز ٢٢/١.

ومقصد الإحسان إلى الناس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

وهذه الآيات وغيرها كثير تؤكد على مركزية الأخلاق في الشريعة الإسلامية وعلى مكانتها المحورية في الاعتبار المقاصدي حتى إنها مثلت غاية الشريعة الكبرى ومقصدها الأول وأكد على هذا النبي ﷺ بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

ولذا فإن الإخوة الإنسانية تشكل مساحة واسعة للاشتراك والالتقاء الإنساني في عديد من القيم والفضائل، ذلك أن الفطرة الإنسانية التي خلق الله الإنسان عليها، هي مصدر أساس من مصادر تكوين الأخلاق وتشكيلها واعتبارها، ومهما اختلف الناس -أفرادا أو أمما- في تقييم بعض الأفعال، فإن هناك فضائل وأخلاقا يشتركون جميعا في حبها وتقديرها، كالصدق والأمانة والوفاء والعدل. ومهما اختلفوا في عقائدهم وفلسفاتهم ومناهجهم فإن هناك رذائل وأخلاقا سيئة يشترك الناس جميعا في بغضها وقبحها، كالظلم والعدوان والكبر والكذب والخيانة والأثرة والغدر.

وإن اشتراك الناس -بمختلف أجناسهم وأديانهم وأوطانهم وعصورهم وطبقاتهم وأحوالهم- في هذه الميول الخلقية، وتجذُّرها في نفوسهم، هي بسبب فطريتها التي يشتركون جميعا فيها، فجميع الناس يشتركون في المعاني الفطرية والطبائع الفطرية.

خامساً : مقصد التعارف والتعاون الإنساني.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

بينت الآية الكريمة وحدة الجنس الإنساني والأصل الواحد الذي انبثقت عنه قبائل الأرض وشعوبها، وأن لهذا التنوع والاختلاف مقصدا وغاية تتمثل في الأخوة والتعارف والتعايش والتساكن بين شعوب الأرض وأممها.

وهذا الخطاب القرآني الجامع الذي يؤكد على القواسم المشتركة بين شعوب الأرض يعالج مشكلة قديمة جديدة واجهت التجمعات البشرية وهي: أن اختلافها يغري دائما باقتتالها وتصادمها، وذلك انتصارا للعرق أو اللون أو الإقليم.

وقد قدّم القرآن الكريم نظرة جديدة تؤسس لتفاهم المجتمعات الإنسانية وتصالحها وتعاونها على الخير عندما رفض كل أشكال التصنيف العنصري بناء على اللون أو العرق أو الدم، ودعا إلى أن يكون اختلافها سببا في تعاونها لا تصادمها واقتتالها.

فالاختلاف وفق المنهج القرآني، ووفق المقصد القرآني، لا يصح أن يكون سببا للتصادم والاقتتال أو البغي والعدوان، وإنما هو دافع للتعارف والتعاون والتكامل.

وبهذا فإن القرآن الكريم يسقط جميع الاعتبارات والدوافع التي تحض على ممارسة العنف أو الإرهاب ضد الآخر لإذلاله أو إقصائه من الوجود، وذلك عندما يربي أتباعه على قبول الآخرين والتعاون معهم على كل ما فيه خير الإنسان ونفعه وصلاحه.

* * *

الخاتمة

النتائج والتوصيات

النتائج:

وبعد هذا البحث في معالم الأخوة الإنسانية في محكمات القرآن أنتهي إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولا: اعتنى القرآن الكريم بالتأسيس معالم الأخوة الإنسانية التي تساعد على إعداد الأمة المؤهلة لأداء مهمتها الإنسانية، والقادرة على التفاعل الإيجابي مع الشعوب والأمم، والمدركة للمساحات الواسعة التي يمكن أن تشكل ميادين مشتركة يلتقي عليها الجميع ويتعاون فيها الجميع.

ثانيا: مجالات الحض على الأخوة في القرآن الكريم، واستدعاء صورها وأمثلتها ومحاذيرها، والتذكير بحقوقها ومقتضياتها عامة شاملة، لا يكاد يخلو منها حزب أو جزء، فهي تقترن بالعقيدة تارة، وبالعبادة تارة أخرى، وترتبط بالآداب حيناً، وتتعلق بالأخلاق وسائر المعاملات في أحايين أخرى كثيرة.

ثالثاً: الأخ هو المشارك لك في الولادة من طرفي الأب والأم، أو من أحدهما أو من الإرضاع، بل كل مشارك لك في العشيرة، أو في الدين، أو العقيدة: من الكفر والإيمان، والحقّ والباطل، والهدى والضلالة.

رابعاً: يشكل مقصد إعمار الأرض باعثا على الأخوة والتعاون الإنساني في جميع مجالات الحياة التي تتحقق فيها تنمية الأرض واستثمارها وتأمين الحاجات الإنسانية فيها، كما تشكل دافعا لتبادل الخبرات الإنسانية للنهوض بواجب إعمار الأرض على الوجه المناسب المطلوب.

خامساً: كلمة الأخوة واشتقاقاتها في القرآن الكريم ست وتسعين مرة، في ثلاث سور من سوره الشريفة، لكنّها تحمل معاني مختلفة من: أخوة النسب، وأخوة الرضاعة، والأخ من القبيلة (أخوة الوطن)، والأخ في الدين والمتابعة وغيرها، كما أن أخوة النسب ربما تنقطع بمخالفة الدين، بينما أخوة الدين لا تنقطع وإن لم يكن هناك نسب.

سادساً: أن البشر أو الناس جميعاً أخوة في الإنسانية بالإجبار وليس بالاختيار، وأصلهم واحد من نفس واحدة مهما اختلفت ألوانهم ومعتقداتهم وأجناسهم وأوطانهم فهم أخوة من أصل واحد، وهذا الأمر لا خيار فيه للإنسان، لكن استثماره استثمارا حسنا مفتاح عظيم من مفاتيح

بناء الحضارة.

سابعاً: الناظر في محكمات القرآن يجد أن التفاوت في الصفات والمزايا الوهبية والكسبية جعلها الله ليختبر به

استعداد الأفراد والشعوب في التنافس والمسابقة إلى ما يفضل به بعضهم على بعض عند الله.

ثامناً: إن الفطرة الإنسانية النقية في أبسط صورها تخلق جواً من المساواة والتسامح والمحبة والوئام وتبادل المنافع والخبرات بين الأفراد داخل المجتمع الواحد وكذلك بين المجتمعات المختلفة، وهذا من وجهة نظري هو التطبيق العلمي لمنهج الإسلام.

تاسعاً: للأخوة الإنسانية دور أساس في إرساء القيم الأخلاقية الإسلامية وهي قيم إنسانية عابرة للخصوصيات الثقافية والحضارية، ويشترك فيها كل أصحاب الفطر السوية الذين يدركون حسن هذه القيم وفضلها، وهذا يدعو إلى استثمار هذا الرصيد القيمي العظيم لخدمة نشر القيم والأصول الأخلاقية الإسلامية.

عاشراً: جواز إطلاق لفظ الأخوة الإنسانية، وعدم تقييدها بالنسب لكل من صاهر قوماً، أو خالطهم، أو ساكنهم، أو عاش معهم وأقام بينهم مدة طويلة.

الحادي عشر: يجوز من ناحية اللغة إطلاق كلمة (أخ) على الذمي، ولا يجوز إطلاق هذه الكلمة من الناحية الشرعية عليهم فلا أخوة شرعية إلا بين المؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

الثاني عشر: إن معالم الأخوة الإنسانية في القرآن الكريم تدعوا لجعل الاختلاف بين الناس عاملا للتفاعل والتعارف الإنساني في المجالات المشتركة، ويحض على سدّ الثغرات بين المختلفين حتى يتحقق التكامل بينهم.

ثالث عشر: إن من المعايير التي ينبغي الاحتكام إليها في مدى التزام الأمة بهدي القرآن الكريم وتوجيهاته: النظر إلى مدى قدرتها على بناء المشتركات الإنسانية الجامعة وفي إقامة جسور التواصل الإنساني وفي تعزيز التعاون بين الشعوب ليكون مدخلا لدعوة الناس إلى ربهم سبحانه وتعالى، وكلما كانت الأمة أقدر على تحقيق التعاون الإنساني والتكافل على معاني الخير والبر، كانت أقرب إلى مقاصد القرآن وغاياته.

* * *

التوصيات

يوصي الباحث بما يأتي:

أولا: ضرورة اغتنام المسلمين خاصة في الغرب لمعالم الأخوة الإنسانية كما بينتها محكمات القرآن، والتي تخدم المقاصد شرعية، للانتصار للقيم الإسلامية، والدعوة للفضائل الأخلاقية.

ثانياً: انطلاق جميع الهيئات والجمعيات والتكتلات الإسلامية من معاني القرآن الكريم والسنة النبوية، وتعزيز معاني الإخوة الإنسانية لبيان الوجه المشرق للشريعة الإسلامية.

ثالثاً: أهمية بيان معاني الأخوة الإنسانية من منظور قرآني للجميع مسلمين وغيرهم وإظهار كيف كان الإسلام الراعي الأول لبناء الأخلاق والقيم قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» صحيح الجامع (٢٣٤٩).

رابعاً: تعزيز كل المناشط الدعوية التي تعزز مفاهيم الأخوة الإنسانية التي بدورها تظهر جماليات الإسلام وتشكل مدخلا مهما لدعوة غير المسلمين وتأليف قلوبهم خصوصا في بلاد الغرب.

خامساً: ترجمة البحوث والدراسات التي تبرز أهمية معالم الأخوة الإنسانية في القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، وبثها كذلك في الإنترنت ومختلف وسائل التواصل الاجتماعي.

سادساً: تحويل هذه المعاني الراقية للإخوة الإنسانية كم بينها القرآن إلى سلوك عملي واقعي في حياة المسلمين خاصة الدعاة إلى الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين ...

* * *

قائمة المراجع

١. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت. نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين ٩٢/٢.

٣. **المفردات في غريب القرآن:** المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ.

٤. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط: ٣، ١٤١٤ هـ.

أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة، أحمد عطار،١/١٤٥.

٥. **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٦. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٧. **روائع البيان تفسير آيات الأحكام:** المؤلف: محمد علي الصابوني، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

٨. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١،

١٤٢٠-٥- ٢٠٠٠م.

٩. **لطائف الإشارات = تفسير القشيري،** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط:٣.

١٠. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)،** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١١. **تفسير القرآن العظيم،** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٢. **محاسن التأويل،** محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

١٣. **لمسات بيانية في نصوص التنزيل,** فاضل السامرائي, عمان/دار عمار, ط: ٢٠٠٣-١٤٢٣.

١٤. **التحرير والتنوير،** الإمام الشيخ: محمد الطاهر، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤م.

***